الأنسنة و أبعادها الفلسفية والصوفية عند المفكر الجزائري محمد أركون

Humanism and its philosophical and mystical dimensions according to the Algerian thinker Mohamed Arkoun

رحو نوال [1]، [2] قلفاط رشيدة

[1] جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان(الجزائر)،Rahou.nawel1987@gmail.com

[2]جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان(الجزائر)، rachidakalfat1@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2022-03-09 **تاريخ القبول**: 2022-06-10 **تاريخ النشر**: 2022-12-31

ملخص:

حاولنا في هذا البحث الإشارة إلى أهم النقاط الأساسية في فلسفة محمد أركون و التي تمحورت حول قضية الأنسنة و مدى صلتها بطبيعة التفكير الديني والصوفي داخل الوطن العربي الإسلامي بهدف توضيح فكرة اللامفكر فيه، أو المسكوت عنه،بمنهج تحليلي،تاريخي،مقارن.

الكلمات المفتاحية:الأنسنة،الصوفية،اللامفكر فيه، النص المقدّس،الحضارة العربية الإسلامية.

Abstract: In this research, we tried to point out the most important basic points in the philosophy of Muhammad Arkoun, which centered on the issue of humanism and its relevance to the nature of religious and mystical thinking within the Arab Islamic world, with the aim of clarifying the idea of the unthinkable, or the silent, with an analytical, historical, and comparative approach.

Keywords: humanism, Sufism, the unthinkable, the sacred text,Arab-Islamic civilization.

الإيميل، رحو نوال: Rahou.nawel1987@gmail.com

1 مقدمة:

يطرح مصطلح الأنسنة في سياقات متعددة منذ ظهوره، وما تبعه من معاني مختلفة و دلالات فلسفية،كانت البدايات في أواخر القرن الرابع عشر ميلادي بأوروبا في القرن العاشر ميلادي ببلاد العرب. من خلال مشروع أركون النقدي،يبدو أنه وضع الأنسنة مقابل الإسلام عقيدة و شريعة.ويقصد بهذا مركزية الإنسان و تحرره العقلي من أية قيود،بحيث يتم التعامل مع كل المعطيات الموجودة من منظور إنساني بعيد عن كل التصورات القبلية أو الدينية على وجه الخصوص و الأنسنة شرط أساسي لتحرير عقل الإنسان من أغلال التقليد و ذلك بانفتاحه على التأويل و آلياته الحديثة،الذي يعتمد على النص حيث تكون الأسبقية فيها للإنسان أي أن الإنسان هو مرجعية ذاته، فهو الذي يفعل النص بعيدا عن كل محدداته القبلية أو التاريخية أو الإيديولوجية إذ أنه لا تنوير من دون نزعة إنسانية،تلك التي هدفها الإنسان و مصيره و سعادته.و ذلك بعد ما أصبح الإنسان مركز بحث كل المفكرين و الفلاسفة على مر الزمان،هذا ما جعل محمد أركون يضع كل اهتماماته حول الإنسان أو ما يعرف بالنزعة الإنسانية، فالنزعة الإنسانية هي جل تفكير أركون، منذ طرح أطروحته الكبرى التي شملت نزعة الأنسنة في الفكر العربي جيل ابن مسكويه Ibn Muskawayh،و التوحيدي Al Tawhidi صاحب العبارة الشهيرة : "إن الإنسان أشكل عليه الإنسان" (محمد أركون،1977،ص 5)

غير أن آلام الإنسان تراكمت يوم اختفت النزعة الإنسانية بعد انقضاء العصر الذهبي القروسطي، و تلك هي مؤشرات بداية دخول عصور الانحطاط التي شهدتها الحضارة العربية و الفكر العربي، ثم ظهرت هذه النزعة من جديد انطلاقا من عصر النهضة الحديثة في القرن التاسع عشر على يد مفكري النهضة عموما ومحمد أركون خصوصا.

يرى محمد أركون أن النزعة الإنسانية بلغت ذروتها في العصر البويهي،أي في القرن الرابع الهجري،إذ انتشر الأدب الفلسفي بشكل واسع،و تشكل مفكرين و مبدعين في شتى المجالات.

تحتل الأنسنة مكانة رفيعة في فكر محمد أركون من خلال نقده للعقل الإسلامي الكلاسيكي السائد في القرون السابقة، ووجود نزعة إنسانية عربية إسلامية تهتم بالإنسان بدل البحث في الأمور اللاهوتية كما كان سائدا في الفكر الفلسفي في العصور الوسطى منذ الحضارة اليونانية إلى الفترة المعاصرة، ما جعل أركون يعيد قراءة التراث الإسلامي،و صراع مفهوم الأنسنة في السياقات الإسلامية بعدما عرف انقطاع و انحطاط و تأخر مقارنة بالفكر العربي الحديث.

في مرحلة الإصلاح الديني، و هي مرحلة ما قبل الأنسنة، كانت النصوص التأسيسية(المقدسة) هي التي تصنع الإنسان و ماهيته، بمعنى أن الإنسان من النص خاضع خضوعا تاما للنص ذلك أن النص محور الكون و العالم.

فجاءت الأنسنة لتحرير الإنسان من النص التأسيسي المقدس، و هذا من خلال وعيها لذاتها و للعالم، أي تحرير الإنسان من الأمور اللاهوتية، من حيث جعل العقل في المرتبة الأولى ثم الدين أو النص التأسيسي في المرتبة الثانية و ليس العكس، حتى يتسنى للإنسان الحرية في قراءة ذاته و العالم المحيط به، بعيدا كل البعد عن الأمور الميتافيزيقية، اللاهوتية و القبلية.

يقول حسن حنفي:"ما حصل في الغرب ليس بعيدا عن العالم الإسلامي، فالحقيقة أن حركة الإصلاح الديني في الوعي الأوروبي لم تكن بعيدة عن النموذج الإسلامي" (حسن حنفي،2000،ص168) و بالتالي خرجت الأنسنة من التفسير الديني إلى الإنسان، و هذا ما حققه الغرب عندما تجاوز العوائق التي تعيق سير حركة الأنسنة في الفكر الغربي مقارنة بالفكر الإسلامي الذي ظل عاجزا عن تحقيق نزعة إنسانية إسلامية عربية

لذلك هدف محمد أركون من خلال مشروعه النقدي إلى تجاوز التفسيرات الكلاسيكية و تقديم بديل يتجلى في القراءة المعاصرة للنّص الدّيني، التي تقوم على مناهج العلوم الإنسانية و الاجتماعية و الألسنية و التاريخية، و ذلك يتطلّب الحضور النّقدي و القراءة الدّقيقة لهذا النّص على خلاف الخطاب الدوغمائي في صورته التقليدية.

من هنا ينفتح أركون على مشاريع و منجزات الحداثة في مجال القراءة و الحفر قصد تعرية الأنظمة المعرفية، و بيان أبعادها التاريخية و مشروطاتها الابستيمية و تجدرها في المحدّدات الثقافية، و عليه يتم نقد التراث من خلال "الإسلاميات التطبيقية " التي تسعى إلى الكشف عن القديم للمجتمعات الإسلامية، و العمل على إيجاد الحلول في ضوء مقتضيات الحداثة، و هذا وفق تطبيق منهجيات متعدّدة و متنوّعة، انطلاقا من نهج النقد التاريخي، فالسيميائية الألسنية، و المنهجية الأنثروبولوجية التفكيكية، الحفرية الأركيولوجية، و قد أحدثت هذه القراءات الجديدة مجموعة من القطائع مع المنهجيات الكلاسيكية و الاستشراقية و الفيلولوجية، باعتبار هذه الأخيرة تمتاز بالعقم و السطحية و الابتعاد عن الدّقة و اليقين.وقد حاولنا في هذا البحث التطرق إلى مفهوم الأنسنة كنزعة مع إبراز أهم أشكالها والحواجز التي كانت عائقا أمام تحقيقها بنظر المفكر الجزائري محمد أركون بالإضافة إلى ذكر أهم المناهج التي سعى أركون إلى تطبيقها في قراءته للنص الديني.

وعليه نتساءل :

- ما مفهوم الأنسنة؟ و ما أشكالها؟
- ما هي العوائق التي تقف حاجزا أمام تحقيقها في الفكر الإسلامي من منظور "محمد أركون"؟
- وما ماهية المناهج المعاصرة التي طبّقها " أركون " في قراءته للنّص الدّيني و الظاهرة الإسلامية؟
- و ما هي كيفية توظيفه لها باعتبار أنّ الدين الإسلامي لا الظّاهرة الإسلامية، هو المرجعية الأساسية للخطاب الديني؟

2 العرض:

1.2 نزعة الأنسنة:

تعتبر مفاهيم"الأنسنة"،"النزعة الإنسانية" ترجمة للمفهوم الفرنسي "Humanisme" المشتق تحديدا من "Humanistus" التي تعني في اللغة اللاتينية" تعهد الإنسان لنفسه بالعلوم الليبرالية التي بها يكون جلاء حقيقته كإنسان متميز عن سائر الحيوانات" (عبد المنعم الحفني،1986)

و يعود ظهور مفهوم الأنسنة أو النزعة الإنسانية إلى "بترارك Petrarque و سلوكاتي Salucati لتعني من يتعاطى الدراسات الأدبية،موروث الفروع الليبرالية عند القدامى الكتاب اللاتين"(مصطفى كيحل،2011، ص55)

تتعلق الأنسنة بالإنسان من حيث اقترانها بأفعاله،و لكن لابد من التمييز و معرفة الفرق بين مفهوم "الأنسنة"و مفهوم"النزعة الإنسانية" فالأول هو لفظ حديث العهد مأخوذ من لفظة إنسان،و هذا ما يجعل الأنسنة تنتسب و تقترن و تتحد مع طبيعة الإنسان، أما "النزعة الإنسانية فهي مذهب أدبي مادي لا ديني،يؤكد فردية الإنسان ضد الدين،و يغلب وجهة النظر المادية الدنيوية،و هو من أسس فلسفة كونت الوضعية...و يمكن عدها وجها للعلمانية الشاملة بحل الإنسية مقام الدينية (حسان القاري،2010،ص381)

يستعمل أركون مصطلح"الأنسنة"و يعتبرها تنقسم إلى ثلاثة أقسام الدينية و الفلسفية و الكلية،فالأولى تقدر الإنسان على حسب طاعته لله و الثانية تمنح الإنسان حريته الفكرية و استقلاله الذاتي،و هي أكثر تفتحا مقارنة بسابقتها،و القسم الثالث يجمع بين الله و الإنسان من خلال الانسجام الكلي،يقول أركون:"إن هناك ثلاث أنواع من الأنسنة،نزعة الأنسنة ذات المحتوى الديني فهي تحترم الإنسان و ترفع من شأنه بقدر ما يطيع الله...و هناك نزعة الأنسنة ذات المستوى الفلسفي،و هي تعطي الإنسان حرية تامة و استقلالية ذاته بالقياس إلى الطقوس و التعاليم الدينية و نزعة ترتكز على الله و الإنسان معا و تدعى بالنزعة الإنسانية الكلية"(محمد أركون،2001، ص13) و من ثمة فإن أركون يعتبر نزعة الأنسنة هي رمز الازدهار العقلاني و تراجع الظلامية، و التعصب الديني،ففي القرون الوسطى كان كل الاهتمام و التركيز منصبا حول الله و علاقة الإنسان به من خلال العبادة و الطاعة،و الاستجابة لأوامره و الانتهاء لنواهيه، لكن قد ظهر في العصر الحديث أمرا عكسيا و قلبا جذريا لهذه الرؤية،حيث أضحى الاهتمام متجها نحو الإنسان كقيمة بحد ذاتها،و قد عرفت هذه النزعة الإنسانية أوج ازدهارها و رقيها في عصر"مسكويه"و"التوحيدي"الذي يعتبره أركون توأمه،و أخاه الروحي ميزتهما صفتان هما:التمرد و العقلنة،و

قد تطورت الأنسنة في عصر النهضة مع مفكرين غربيين،باعتبار الإنسان هو مركز الكون و عقله هو الإله الجديد،و يعرف أركون الأنسنة بأنها"نشاط شامل،بناء،مبدع،يعني بإعادة النظر في جميع ما يتعلق بوجود الإنسان،و طرق الفهم و التأويل و التجسيد التاريخي لهذا الوجود". (محمد أركون ،1977،ص19)

نظرا لتراجع النزعة الإنسانية في الحضارة العربية الإسلامية و تدهور الفكر الفلسفي الاعتزالي،و من خلال تحليل أركون للعقل الإسلامي و نقده له،تمكن من الكشف عن عاملين رئيسيين كانا سببا في تراجع النزعة الإنسانية في الفكر العربي الإسلامي،محدثا بذلك قطيعتين:قطيعة مع التراث الكلاسيكي الإسلامي،و قطيعة مع الحداثة الغربية.

السبب الأول يخص طبيعة الثورات في العالم العربي الإسلامي،فقد كانت هناك ثورات دينية على أنظمة ليبرالية أو اشتراكية كانت تسعى إلى الحداثة مثل ثورة الضباط المصريين على الملك "فاروق" مما أدى إلى ظهور الحركات الأصولية "فلا ريب أن انتشار الأصولية يعني اضمحلال الموقف العقلاني و كذلك اضمحلال الفلسفة التي تتمحور حول الإنسان و تعتبره قيمة القيم". (محمد أركون، 1977،ص12)

و السبب الثاني يعنى بما انتاب النزعة الإسلامية من تدهور و تراجع منذ رد فعل أهل السنة على الدولة البويهية المنتسبة إلى المذهب الشيعي،و يؤكد "أركون" أن النزعة الإنسانية انتهت و اختفت في العالم العربي الإسلامي ليحل محلها النظام الأرثوذوكسي المنغلق و الجامد،بالتالي فهو يسعى إلى تحطيم كل أشكال الجمود و التطرف و الانغلاق الفكري،فضلا عن تجاوزه للمناهج الضيقة،من خلال دعوته إلى التحرر من المناهج الإستشراقية المتحجرة و المتقوقعة ضمن الطريقة الفيلولوجية التقليدية،و حدودها الإبستيمية التاريخية فلابد من الخروج كليا من ذاكرة الوعي الإسلامي الكلاسيكي الذي يحتوي على مسلمات داخلية،و إكراهات ترغم العقل على التفكير بطريقة معينة و عدم تجاوزها لإحداث عوامل التطور الفكري و المعرفي،و من هنا فقد سعى "أركون" إلى "النقد التاريخي" و الحفر الأركيولوجي من أجل تجاوز ما تراكم من مشكلات و إشكاليات في الفكر الإسلامي،و ذلك بزحزحتها و إضافة المعقولية الحديثة على التراث الإسلامي ككل،بعيدة كل البعد عن المسبقات اللاهوتية العقائدية للضيفة...التي تسعى إلى احتكار

الحقيقة و فرضها في الفضاء السوسيوسياسي" (أحمد لباني،2011،ص80) هذا في الحضارة العربية الإسلامية،أما الحضارة الغربية فقد ظهرت النزعة الإنسانية في عصر النهضة بأوروبا في القرن الخامس عشر،و في هذه الفترة بدأ الانتقال من الاهتمام بالدين إلى الاهتمام بالإنسان،بحيث نجد "لوثر Luther" يعترف بدور العقل و مكانته في العلوم و البحوث العلمية،و بالتالي رفض كل ما هو عقائدي ديني يربط الإنسان بالله،حيث "تصدى للتجارات بالغفرانات و سلطة البابا السياسية،و شكك في الأصل الرباني للبابوية". (مصطفى كيحل،2011 ،ص56)

و الفيلسوف "لورنزو فالا Lorenzo Valla"أحد أكبر الإنسانيين،الذي دافع عن حرية الاختيار كحق طبيعي للإنسان.

فأوروبا في عصر النهضة منحت الإنسان مكانة مرموقة حتى أرادت أن تجعل منه غاية في ذاته و ذلك في جميع المجالات،فالنزعة الإنسانية في الفكر الغربي تعني التمرد على الله من أجل العناية بالإنسان،أي أن الأنسنة تمثل قطيعة حاسمة مع النظرة اللاهوتية يقول على حرب"ثمرة لعصر التنوير و الانقلاب على الرؤية اللاهوتية للعالم و الإنسان" (علي حرب ،2004،ص73)

استطاعت النهضة الغربية أو الحداثة الغربية أن تجعل الإنسان مركز سيادة العالم بدل الله على عكس ما كان سائدا في القرون الوسطى و في العصر الكلاسيكي،و هذا من خلال إعطاء الأولوية العليا للعقل،و استقلالية الذات الإنسانية عن كل ما هو لاهوتي ديني.

يذكر احمد بويردان أن الإنسانية "ولدت في القرن الخامس عشر من شهية النخبة الأوروبية لفهم فكري للعالم الظاهر وإعادة التفكير في ما كان الإنسان فيه ، بالاعتماد على التراث اليوناني الروماني. اقتصر هذا المسعى في البداية على المعرفة الأساسية ، "العلوم الإنسانية" الشهيرة في عصر النهضة (studia humanitatis) ، ثم امتد هذا المسعى لاحقًا ليشمل جميع مجالات المعرفة الأدبية والفلسفية والعلمية. تسعى الثقافة ، كوسيلة من وسائل الإدراك والتمثيل لتناغم الكون ، إلى رفع الإنسان إلى أفضل ما لديه وإيصال المجتمع البشري إلى تطوره الكامل. أصبح التقدم الفردي والجماعي ممكنًا من خلال دمج المبادئ

الأخلاقية الرئيسية. في غضون بضعة عقود،انتشرت الأفكار الإنسانية في جميع أنحاء أوروبا،ويرجع الفضل في ذلك على وجه الخصوص إلى ازدهار المطبعة. يستند الطموح والجرأة التي أظهرها الإنسانيون إلى ثقتهم الهادئة في العقل ، وهي هيئة تدريس متسامحة. هذا هو الذي يؤكد للإنسان تفوقه على الممالك الأخرى التي يدجنها وينظمها كما يشاء. وفقًا لكلمات ديكارت الخاصة في حديثه حول المنهج ، يصبح الإنسان من خلال العلم "سيد الطبيعة ومالكها". وهكذا أسس الإنسان من قبل الإنسانيين باعتباره المرجع الأعلى ، محدثًا اقتراح الفيلسوف المتشكك بروتاغوراس الذي ، قبل عشرين قرنًا تقريبًا ، وضع الإنسان على أنه المعيار المطلق (kriterion). استدعت نظرية قديمة إلى سياق جديد ، من خلال القوة والمسؤولية التي تمنحها لها ، تمنح الإنسان دورًا غير مسبوق في مصير البشرية. دور أبرزه التهميش التدريجي للاقتراح الكتابي للإله الأبدي والقدير. لم يعد غياب الله مخيفًا ، سواء في نقاشات الأفكار أو في بناء المجتمع البشري. بدأت النزعة الإنسانية في عصر النهضة ، التي وُلدت في بوتقة الانصهار المسيحي ، عملية علمنة للأفكار والمجتمع وصلت إلى أكثر أشكالها راديكالية في عصر التنوير" Ahmed Bouyerdene) p 10-11.2015)

و"نزعة الأنسنة في الفكر العربي الإسلامي ظهرت في العصر الكلاسيكي،من الناحية الأدبية و ذلك مكن من دراسة الأدبيات الفلسفية للقرن الرابع الهجري العاشر ميلادي التي تتيح لنا أن نتأكد من وجود نزعة فكرية متمركزة حول الإنسان في المجال العربي الإسلامي،و هذا ما ندعوه بالأنسنة العربية" (محمد أكون،1999 ،ص605)

إن الحديث عن النزعة الإنسانية في الفكر العربي يستوجب استحضار هذا المفهوم و هذه الفلسفة الإنسانية من جذورها الأولى،أي من الحقبة الغنية من التراث الإسلامي أي المرحلة الكلاسيكية كما يحددها "أركون" زمن"التوحيدي" و "مسكويه".

حيث نجد فلاسفة إسلاميين ذوي نزعة إنسانية حقا،كما نجد المتكلم المعتزلي"أبي هاشم الجبائي" و كتابه "الإنسان" و عبيد الله بن الأنباري" في كتابه "البيان عن حقيقة الإنسان" إضافة إلى وجود فلسفة تهتم

بالإنسان،حيث نجد "يعقوب بن إسحاق الكندي" في كتابه"مادية الإنسان" أما لدى الصوفية فنجد"ابن عربي" الذي تفوق كتبه عن الإنسان سبع مؤلفات منها:"البيان في حقيقة الإنسان"،"نسخة الإنسان"،"الميزان في حقيقة الإنسان"،كما نستحضر كتاب الصوفي"عبد الكريم الحيلي":"الإنسان الكامل في معرفة الأوائل و الأواخر") (محمد الشيخ،دون بلد،ص123) كان كل هذا التراث الخصب و الغني بالأعمال الإنسية مرجعية هامة بالنسبة لأركون.

و تبقى النزعة الإنسانية كلها مفاهيم واحدة يقصد بها" محمد أركون" ازدهار العقلانية و تراجع الظلامية و التعصب الديني" (محمد أركون،1977 ،ص12)

في العصور الوسطى كان التركيز فقط على الله و علاقته الإنسان بالله عن طريق الطاعة و العبادة،و بعد عصر النهضة تم التركيز على الإنسان و الاهتمام به كقيمة بحد ذاتها،و هكذا تم الانتقال إلى المركزية الإنسانية أو النزعة الإنسانية و تتحدد سمات النزعة الإنسانية في الفكر العربي الإسلامي الكلاسيكي عند "محمد أركون" بمجموعة صفات أساسية منها:

1- انفتاح هذه النزعة على ما يسمى "العلوم الدخيلة"و هو انفتاح ما حددته اعتبارات دوغمائية و إنما أملته حاجات المجتمع.

2- تعقيل الظواهر الدينية و ما يشابهها،و ذلك من خلال محاولة التقليص من تدخل الغرائبي و الشعوذي،و الاستعاضة عنه بفسح المجال أمام التحليل العلمي.

3- إيلاء عناية خاصة بالمسائل الأخلاقية و السياسية.

4- إيلاء العناية الجمالية(فن العمارة و الرسم و الموسيقى) على أن هذه الجوانب لا زالت مجهولة. (محمد الشيخ،د.بلد،ص131)

ووفق هذه المسلمات يظهر لنا جليا كل ماهو قيمي في الإنسان،و ذلك بالانفتاح على الآخر من جهة،و آفاق الأنا(الذات) من جهة أخرى.

فأركون كشف عن النزعة الإنسية في التراث الإسلامي مبررا لوجودها في أعمال المفكرين و فلاسفة الحقبة الكلاسيكية من مراحل الفكر الإسلامي حيث يطلق على هذه المرحلة بالعصر الذهبي التي شهدت انفتاحا كبيرا على علوم الإغريق،و الفرس،و الأتراك و ذلك من خلال التطلع على الحضارة اليونانية و فلسفتها.

فأركون جعل من "التوحيدي" النموذج الوحيد للإنسية العربية،حيث حقق حداثة فكرية و إلى جانب ذلك نجد "مسكويه"و"ابن سينا" في الفكر العربي الإسلامي و للأنسنة أشكال لابد من توضيحها في هذا المقام و هي كالتالي:

3.أشكال الأنسنة :

تعتبر إشكالية الأنسنة من بين الإشكاليات التي نالت اهتمام المفكر" محمد أركون" في مشروعه النقدي للعقل الإسلامي،حيث أن هذه النزعة ركزت و بشكل كبير على الإنسان بدرجة أولى كما رأينا سابقا.

و ذلك من خلال مفكرين و فلاسفة اجتهدوا في هذا المجل أمثال:"التوحيدي" و "مسكويه"،و هذا ما جعل "محمد أركون" يعيد سياق نزعة الأنسنة في الإسلام في العصر الحديث وفق أطر و مناهج جديدة و علمية تمتاز بالدقة و اليقين.

يشير "أركون" إلى مفاهيم متعددة للأنسنة في الفكر الإسلامي فهناك الأنسنة الدينية Humanisme Religieux و التي محورها الله،و هناك الأنسنة الفلسفية Humanisme philosophique و التي محورها الإنسان،و هناك الأنسنة الأدبية Humanisme littéraire و هناك النزعة الإنسانية الكونية أو الكلية Humanisme universel يقول "أركون" في هذا الصدد:" أن هناك ثلاث أنواع من الأنسنة ،نزعة إنسانية ذات المحتوى الديني،فهي تحترم الإنسان و ترفع من شأنه بقدر ما يطيع الله و يتمثل لأوامره و يطيعه،و هناك نزعة ذات المستوى الفلسفي،و هي تعطي الإنسان حرية تأمله،و استقلالية ذاته بالقياس إلى الطقوس و التعاليم الدينية،و نزعة ترتكز على الله و

الإنسان معا و تدعى النزعة الإنسانية الكلية" (محمد أركون،2001،ص13)و هي التي سنحاول تعريفها فيما يلي حسب تصور "محمد أركون".

1.3 الأنسنة الدينية الصوفية Humanisme religieux et mystique

إن الدين ظاهرة واكبت تاريخ البشرية منذ خلق الكون أو العالم،و إن تباينت تعبيراته سواء كانت إسلامية أو مسيحية أو يهودية،حيث اختلفت تجليات و مظاهر الديانات لدى الإنسان،فالديانات جميعا تقدم مجموعة من العقائد و هي تتجلى على أنها مجموعة حقائق مطلقة في السلوكيات الموجهة للإنسان الملزم بها،لذا نجد أن" الموقف الديني للروح لا يسمح إلا بصيغة معينة من صيغ الأنسنة،صيغته محصورة داخل جدران النظام العقائدي الخاص بكل دين،و يقدمون مؤلف هذا النظام على أساس أنه الإله المليء بالنيات الطيبة و الحسنة اتجاه الإنسان". (محمد أركون،1977، ص18)

فالإنسان في الأنسنة الدينية مرتبط أشد الارتباط بالتعاليم الإلهية،ذلك أن الله عز و جل هو الذي يحدد أفعاله و سلوكه،فالإنسان جاء الحديث عنه في الخطاب النبوي الشريف،و هو الخطاب الذي يستخدم الأساليب البلاغية ذات المعاني المجازية من أجل "أن يظهر لأول مرة في التاريخ.امتحان الميثاق المتعاقد مع الله الحي المتكلم...و يحصل هذا عن طريق الصلاة و عمل الخير و التأمل في آيات الله في خلقه..." (محمد أركون، 1999،ص208)

أي أن كل أفعال الإنسان مرتبطة بالله عز و جل و ذلك عن طريق القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة و ما تحمل من معاني،فالإنسان" في الرؤية اللاهوتية يفتش عن مشروعية أفعاله و أقواله خارج عالمه،في حين أن الإنسان في الرؤية الإنسانية هو مرجع ذاته" (علي حرب،2004،ص77) هذا ما جعل الإنسان يسترجع ذاته و مصيره و حريته و استقلاليته عن الله عز و جل في عصر الحداثة من أجل نزع صفة القداسة عنه.

و عليه فإن هذا ما جعل أركون يؤكد على ضرورة إعادة التراث و إعادة التفكير من جديد و ذلك بالعودة إلى تاريخ الإنسانية لترقية الشخص،فالإنسان في القرن التاسع ميلادي كان منفتح على الثقافات و مختلف

العلوم مثل:الإنسان الصوفي الذي جمع بين التجربة الشخصية الفنية بالإلهيات و سيطرة اللغة الشعرية و الفكرية.

2.3 الأنسنة الأدبية Humanisme Littéraire

لقد عرف العرب الأنسنة في تاريخهم القديم من خلال إنتاجاتهم الأدبية التي ورثوها عما سبقوهم،و بخاصة حضارة وادي الرافدين إذ أنهم "يملكون أضخم إنتاج يتعلق بقصص الحيوان،و يستوعب في هذا الأدب الذي نقله المؤلفون من الجاهلية في كتب الأمثال أو الذي وضعه أدباء الحضارة في بغداد أو ما ورد في الأدب التعليمي و الذي ترجمة العرب إلى لغتهم فاستوعبته اللغة العربية أو أصبح جزءا منها" (داوود سلوم،1979،ص9) و توجد في كتب التاريخ نماذج كثيرة عن هذه الأنسنة،مثال الأنسنة في الشعر العربي:

أقول لظبي مربى و هو رائع أانت أخو ليلى فقال:يقال

كما تتمثل الأنسنة في قصص ألف ليلة و ليلة،و من أجل نسخ هذه الأنسنة انتهج الإنسان اللغة.بحث لو اطلعنا على مجمل الأدب لوجدناه متأثرا بالأنسنة و ذلك من خلال الحكاية كما ارتبطت الأنسنة بالمسرح العربي من خلال أول مسرحية لما روت النقاش،فإن الأنسنة قد بدأت في النصوص المسرحية العربية بما كتبه "توفيق الحكيم" في مسرحية "شمس النهار" حيث كانت الأنسنة متجسدة بين إلهين هما – "جالاتيا" و" جماليون" أما "أركون" فيحددها بأنها "مرتبطة بأرستقراطية الروح و المال و السلطة،ففي زمن نجد أن الرجال الموهوبين لا تتفتح مواهبهم إلا على ساحات الأوراق أو في صالونات الأغنياء الكبار،و هذا النمط من الأنسنة سيسيطر على كل الحقب اللامعة لتاريخ الثقافات". (محمد أركون،1977،ص357)

ذلك أن الأنسنة انتعشت و ازدهرت في فترات التاريخ الثقافي،خاصة الفكر الإسلامي،كما أن "أركون" ينتقد هذا النوع من الأنسنة على أنها أنسنة شكلية Humanisme Formalisme تتلاعب بالألفاظ في الصالونات الأدبية.

3.3 الأنسنة الفلسفية Humanisme philosophique

الأنسنة الفلسفية عند "محمد أركون" تمزج بين الأنسنة الدينية(الله) و بين الأنسنة الأدبية،حيث يقول أن "الأنسنة الفلسفية تتميز عنها بنظرية فكرية أكثر صرامة،كما تتميز بالبحث القلق و الأكثر منهجية،و الأكثر تضامنا في البحث عن حقيقة العالم و الإنسان و الله". (محمد أركون،1999،ص09)

الأنسنة الفلسفية تركز على الإنسان من حيث هو كائن عاقل و مستقل و مسؤول،بحيث لا يتخطى حدود الدين أي يجب عليه أن يقارن بين ماهو ديني و ما هو أدبي،و أن يتجاوز التضاد بين المعرفة الدينية المرتكزة على الدين و بين المعرفة العلمية التي هي من إنتاج العقل البشري،و هذا ما يسعى إليه أركون و ما يسميه بالنزعة الكونية فهل هذه النزعة مجرد نوع من أنواع الأنسنة؟أم هي ما يسعى إليه أركون من خلال مشروعه الفكري؟

يهدف أركون إلى الوصول لنزعة إنسانية كلية تتجاوز الدين و العرق.

و النزعة الإنسانية الكونية في نظر محمد أركون هي التي ينبغي أن تستعمل "جميع أفراد الجنس البشري بغض النظر عن أصولهم الجغرافية أو الدينية أو المذهبية أو العرقية... (محمد أركون، 1977،ص37)

فالإنسان في هذه النزعة الكونية يعتبر قيمة عليا في المجتمع،بعيدا عما هو ديني و هما هو أدبي،و يتوقف نجاح هذه النزعة حسب "أركون" على مدى الحفاظ على الإنسان و حقوقه بمعزل عن الماديات الموجودة في المواقع من اقتصاد و تكنولوجيا و غيرها.

من العوائق التي تحول دون الوصول إلى نزعة إنسانية كونية واقعية،عاتق العنف،لذا يجب مكافحة العنف و السيرة عليه من خلال نشر المعرفة و العلم بين الناس و ذلك عن طريق التعلم،احترام القانون،الديموقراطية،و العنف نوعان:

- العنف المقدس: يخلع المشروعية على ذاته من خلال التعاليم الإلهية للأديان التي لم تتعرض بعد للنقد العلمي،أي أن العنف المقدس يرتبط بالمجتمعات التي لا زالت تمارس الدين في حياتها.

- العنف المادي:العنف الشائع في المجتمعات الأوروبية و الأمريكية الحديثة،أي المجتمعات التي انحصر عنها الدين و أصبحت قيمها نسبية".

ومفهوم التسامح في الفكر الإسلامي بنظر محمد أركون لم يتحرر التفكير فيه أبدا،وبالتالي فإن إشكالية التسامح تعد من الإشكاليات التي ظلت في زمرة المستحيل التفكير فيه في الفكر العربي الإسلامي،فالتسامح هو " الاعتراف للفرد المواطن بحقه في أن يعبر داخل الفضاء المدني عن الأفكار الدينية أو السياسية أو الفلسفية التي يريدها ولا أحد يستطيع أن يعاقبه على التعبير عن آرائه اللهم إلا إذا حاول فرضها عن طريق القوة والعنف على الآخرين" (محمد أركون، 1977 ،ص 243) فمفهوم التسامح ظهر أثناء إحداث قطيعة في العقل الغربي مع الدين اللاهوتي،وسيطرة العقل أو العقلانية المركزية البعيدة كل البعد عن اللاهوتية المقدسة لكل ما هو ديني إلهي .

لهذا السبب دعا أركون إلى ضرورة التفكير في اللامفكر فيه الذي همشه التاريخ القديم وأغلقه لأسباب تعود بالدرجة الأولى إلى ما هو سياسي وديني،فالتاريخ العربي الإسلامي لازال محجوبا ينتظر من يكشف عنه الستار ليجليه، وذلك لن يتم حسب أركون إلا بإعادة دراسة التراث دراسة علمية وفق مناهج حفرية أركيولوجية،تفكيكية،أنثروبولوجية وألسنية سيميائية،فهو يسعى إلى قلب التأويلية القديمة في التفكير إذ يقول:" إن تقنيتي في التأويل هي الحفر في الوثائق والنصوص والكشف عن مكنوناتها ومكبوتاتها،وأسعى إلى الكشف والفهم والتفسير في سبيل التنوير" (نور الدّين مراح، 2009، ص 21).

4.3 الأنسنة الروحية الصوفية Humanisme spirituel soufi

"إن فكرة وجود الإنسان الكامل في تناغم تام مع أصله الإلهي موجودة منذ الأجيال الأولى من المفكرين والروحانيين في الإسلام وقبل الإسلام، "لأن الصوفية تعني نفس المعنى الذي نجده في فيلاصوفيا، لغويا تشتق هذه الكلمة من جدر صفا وتعني الاستبصار العقلاني" (Rachida Kalfat, Décembre 2020 pp.80-106)) إذا كان من الممكن أن تكون هذه الفكرة قد اتخذت تعريفات وأسماء مختلفة (insân fâdil، insân kullî) ، فإن مدرسة ابن عربي هي التي فرضت صفة "الرجل المثالي"

(insân kamil) ، والتي تشير إلى مفاهيم الكمال والإنجاز والعالمية. ولأنه هو أسمى الخلق ، فإن التقليد يعتبر الإنسان الكامل أفقًا ساميًا للبشرية. جوهر الإنسانية ، هذا الكائن الآدمي الفريد يستخدم من قبل الإنسانيين المسلمين كبوصلة ، ناهيك عن القبلة ، في تأملهم وعملهم على مستقبل البشرية. لكن من هو بالضبط؟ مفهوم معقد بشكل خاص ، فإن الروحانيين في الإسلام هم الذين يقدمون الدعم العقائدي الأكثر كثافة. في بعض الأحيان يُقارن بالنبي محمد باعتباره نموذجًا لكل الكمال ، وأحيانًا بآدم البدائي ، وأحيانًا مرة أخرى بالقرآن المنزل ، فإن هذا الكائن الاستثنائي يفرض عليه كل الحقائق الأعلى والأدنى. يقع كل من النموذج الأصلي للإنسان والأفق السامي للإنسانية ، الرجل المثالي ، على فجوة بين حقيقتين ، ماديين وميتافيزيقيين: البرزخ (البرزخ) الذي يعمل بمثابة ملتقى واستمرارية بين الإنسان والإله. إنه بحسب ابن عربي "عباءة الله" من حيث أنه بهيئته الداخلية ، على صورة الله ، ومن الخارج ، في صورة العالم الحساس ، الذي يشير إليه الحديث القدسي التالي. : "سمائي وأرضي لا تسعني لكن قلب عبادي يحتويني" (Ahmed Bouyerdene , 2015,p 29-30) على الرغم من أنه حصل على جميع الأسماء الإلهية والقوة المصاحبة لها ، إلا أنه لا يدعي أي سيادة إلهية وليس لديه إرادة أنانية لتناسب الأسرار الإلهية (الأسرار). لذلك فهو لا ينافس الله بل على العكس هو خادمه الكامل (عبد). إنه يتدخل في تاريخ البشرية كدليل واضح على وجود الله على الأرض وتحقيق الوعد الإلهي للبشرية. إنه الشخص الذي يفترض تمامًا وظيفة القائم بالله على الأرض ، وبالتالي يصبح متعاونًا مع الله.

لنوضح الفكرة الأساسية التي يسعى أركون إلى التذكير بها والحفر في مكنوناتها المنسية لأمد طويل،بل والممتنع التفكير فيها حاليا،تلك التي تنص على أن القرآن بصفته كلام الله الشفهي، قد كتب بلغة بشرية تدخل فيها البشر،وهو ما يؤكد أطروحة المعتزلة القائلة بخلق القرآن، فاللغة العربية التي هي لغة هذا الكتاب المقدّس هي لغة بشرية ، و من ثمّة تتأكّد الوساطة القائمة بين "الله" و البشر، بحيث أن "القرآن" كتاب سماوي الهي منزّل كوحي شفهي، و لكنّه بشري الكتابة كونه مكتوب بلغة بشرية تصرّف في كتابته أفراد معيّنين من صحابة الرّسول، و لم يكتب إلا في فترة معيّنة، و ما يثير الرّيب لحد الآن بنظر أركون هو

الإشكال الذي يستدعي التّفكير و البحث و الحفر العميق، إنّه السّؤال الذي يبحث عن سبب حرق جميع المصاحف المكتوبة و الحفاظ على مصحف واحد هو المصحف العثماني ،ما هي مبرّرات ذلك؟ هو إشكال عويص لا يزال مستمرّا لغاية اللحظة، لكن نظرا للخوف من السلطات السياسية و القيود التي يفرضها رجل الدّين بقيت على الهامش،و اللامفكر فيه.

تطرق أركون في مقدمة كتابه"الإسلام الأخلاق والسياسة" لضرورة التزام المفكر بالحذر الشديد من مكنونات الخطاب الذي يحمل في طياته معنى يلج في دائرة اللامفكر فيه إذ يقول:" مثل هذا المناخ من المجادلة الحادة، و الخصومة العنيفة، نجد بعض الباحثين مجبرين على التزام الحذر الشديد من الناحية الفكرية و المنهجية. فهم يقدمون بعض التنازلات لوجهة النظر الإسلامية و يخففون من استخدام منهجيتهم التاريخانية التي سيطرت في بيئات الاستشراق منذ القرن التاسع عشر وحتى اليوم. أما بعضهم الأخر فيلتزم بالوصف البارد و العرض الحيادي التام لمبادئ الإسلام الأزلي، كما لو أن المسألة الحقيقية المطروحة هي مسألة إسلام المبادئ. وليست بالأحرى مسألة المعاش الإسلامي اليومي بكل جذوره المحلية و تشكلاته التاريخية المحسوسة. إنهم يريدون أن ينجوا بجلودهم فلا يجلبوا عليهم سخط الحركات الإسلاموية و الأوساط المحافظة، و ينتج عن ذلك فراغ ثقافي كبير، و طلب علمي هائل على موضوع غني و مثير للشهية. و يشعر الباحث أحيانا بالمرارة و الألم لعدم القدرة على الخوض في مناقشة فكرية سليمة في مثل هذا الجو. بل إن هذه المناقشات تتحول إلى عقبات تحول دون انتشار المعرفة العلمية الخاصة بالإسلام" (محمد أركون،1990،ص06) و قد بلغت بأركون شجاعة الخوض في هذا المجال، و ما ساعده على ذلك هو تفكيره في بيئة ثقافية فرنسية خارج الوطن الأم أو العالم الإسلامي الذي انتشر فيه التفكير المقيّد للتفكير.

4. خاتمة:

من خلال دراستنا لمفهوم الأنسنة وأشكالها عند محمد أركون التي تعددت بين الأنسنة الدينية والأنسنة الأدبية والأنسنة الفلسفية والأنسنة الكونية الشاملة،اتضح لنا أن أركون يميل إلى النزعة الإنسانية الكونية الشاملة عن غيرها من الأنسنات الأخرى،ذلك أن النزعة الكونية تمتاز بالرؤية العقلية الفلسفية للأشياء

على خلاف الرؤية الدينية المنغلقة على ذاتها،فالأنسنة الكونية تسعى إلى تخطي كل ما هو ديني عموما كما تسعى إلى تخطي الوحي خاصة،في الحين الذي تطمح فيه للإنسان وحده.

غير أن النزعة الكونية التي نادى بها أركون صعبة التحقق ما لم يتوجه النقد للأنسنة في حد ذاتها،أي نقد مركزية أو مكانة الإنسان،لأن التعامل مع الإنسان من خلال جعله كائنا مقدسا ذو قيمة عالية بصفته المثال والغاية القصوى ستكون نتيجته سيئة ومدمرة، لذا يجب تفكيك هذه الأنسنة أو المركزية الإنسانية، كما يدعو "علي حرب" إلى ضرورة مراجعة الأنسنة التي جعلت من الإنسان الكائن المقدس في الكون لأن هذه الفكرة تسعى إلى الخراب، وبالتالي فإن النزعة الكونية تمتاز بالنسبية لا الإطلاقية لأنها لا تسعى إلى الحقيقة والصواب،بحيث أنها تضر بالإنسان أكثر مما تنفعه، وتحافظ عليه وتجعله يتراجع إلى الخلف كما يقول حسن حنفي.

5. قائمة المراجع:

- أحمد لباني، (2011) الفكر النقدي سبيلا الى الأنسنة، قراءات في مشروع محمد أركون، دار الخلدونية، الجزائر.
- حسن حنفي، (2000) ، مقدمة في علم الاستغراب،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، دون بلد.
- حسان القاري، (2010)، أنسنة الوحي دراسة نقدية، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية و القانونية، المجلد 26، العدد الثاني.
- داوود سلوم، (1979)، قصص الحيوان في الأدب العربي القديم، دار الرشيد، دون بلد.
- عبد المنعم الحفني، (1986)، الموسوعة الفلسفية، دار ابن زيدون، مكتبة مدبولي، القاهرة .
- علي حرب، (2004)، حديث النهايات فتوحات العولمة و مأزق الهوية، المركز الثقافي العربي، بيروت.
- محمد أركون، (1977)، نزعة الأنسنة في الفكر العربي، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، بيروت.
- محمد أركون، (1999)، الفكر الأصولي و استحالة التأصيل، نحو تاريخ آخر للفكر الاسلامي، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، بيروت.
- محمد أركون، (2001)، معارك من أجل الأنسنة في السياقات الاسلامية، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، بيروت.

- محمد أركون، (1990)، الاسلام الأخلاق و السياسة، تر هاشم صالح، مركز الإنماء القومي، بيروت.
- محمد الشيخ، (د.سنة)، أركون و النزعة الإنسية في الفكر العربي و الإسلامي ندوة فكرية، قراءات في مشروع محمد أركون الفكري.
- مصطفى كيحل، (2011)، الأنسنة و التأويل، منشورات الاختلاف، دار الأمان، الرباط.
- Ahmed Bouyerdene, L'Humanisme et L'humanité en islam, (2015) , La Fondation pour l'innovation politique est un think tank libéral, progressiste et européen.

-Mohamed Arkoun, (XIV-XV), L'humanisme arabe d'après le kitab al-Hawa'mil wa alShawa'mil, in Studia Islamica.
- Mustapha Harzoune, (2006), Humanisme et Islam. Combats et propositions, Mohamed Arkoun. Vrin 2005 . Compte ,rendu .Collection Hommes et Migrations, n° 1259 Janvier-février
-Rachida Kalfat, Décembre (2020), Musique et Philo-Sophia, une coalescence dans la pensée Augustinienne, Revue Internationale d'Art et d'Artologie, 4 ème édition, pp.80-106.